٣ - لمعات

مهداة إلى شاعر الاسلام وفيلسوفه محمد إقبال جواباً لكتابيه «أسرار خودى» و «رموز بى خودى»

للدكتور عبد الوهاب عزام

جال فى الظلماء صوت هاتف ... فظلام الليل منه راجف
مدّ فى الظلماء نوراً من نَغَمْ ... مُزِّقَتْ منه دياجير الظُلَمْ
أشُعَاعٌ فيه صوت صائح ... أم كلام منه نورٌ لائح ؟
أذِن الركب لهذا النشد ... أطرب الناشدَ صوت المنشد[1]
سال فى القلب مسيل المطر ... ينبت الروح بسهب مُقفر
أو خرير الماء من نبع زلال ... بشّر الغارق فى بحر الرمال
رنّ فى نفسى رنين الجرس ... صاح فى أذنى فقيد مُبلِس
طوت البيداء عنه السابله ... وهذاه الصوت شطر القافله
سبق القلبُ إليه الأذنا ... كبلال لصلاة أذّنا
دار قلبى شطر هذا المطرب ... دورة الابرة شطر القطب
« غنّنى يا مُنيتى لحن النشور ... أبركى يا ناقتى . تم السرور

(١) المنشد فى الشطر الأول منشد الشعر ، وفى الثانى الذى يدل على الضالة ، والناشد من ينشدها

ولسنا نطلب جاها أو متاعاً من متاع الفانية فاننا نعرف أن التكالب على الجاه فى ظل العبودية ، قتالٌ على الجيفة ، تقوم به طائفة نسميها الكلاب

ولكننا آثرنا الموت على الحياة ، لتزهو الحياة فى يوم ، وليسعد فيها هذا البشر اللاغب المتعب . . وآثرنا لأننا علمنا أن الموت فى سبيل الحق حياةٌ دائمةٌ مديدة ... ودوت قنبلة أعقبتها طلقات ، فانقض المجاهد وانحدر يهدر كالسيل الآتى ... إلى المعركة ، إلى الموت ! وما هى إلا ساعة حتى استشهد ، فقد كان يقاتل كالمجنون !

أين المجاهد ؟ !

أما جسمه (فكم مقلةٍ فى منقار طائر ، وكم خد عتيق ، وجبين رقيق ، قد فلق بسمد الحديد)

أما روحه فقد مشت كالنسيم ، توقظ الرمم ، وتدفع الأمم إلى الموت فى سبيل الحرية . . .

(شرقه الأوردنى) عبد الحليم عباس

عُدت يا عيدى إلينا . مرحباً ... نعم ما روّحت يا ريح الصبا[1]

حبذا الصوت فمن هذا البشير ؟ ... ومن الهاتف بالقلب الكسير ؟
ومَن المسعد فى هذى الهموم ؟ ... ومن البارق فى هذى الغيوم ؟
ومن الهابط فى نور السما ... هادياً فى الأرض جيلاً مظلما ؟
ومن الهادى إلى أرض الحبيب ... يعرف النهج وقد حار اللبيب ؟
ومن السائق شطر الحرَم ... وإلى الأصنام سير الأمم ؟
ومن القارىء فى بيت الصنم ... سورة الاخلاص فى هذا النغم ؟
ومن الحرّ الذى قد حطما ... فى قيود الأسر هذا الأدهما ؟
ومن الآبى على كل القيودْ ... ومن القاطع أغلال العبيد ؟
ومن الباعث فى ميت الأمم ... ثورة العزة من هذى الهمم ؟
لاح كالنُّورة فى هذا السواد ... بصّ كالجمرة فى هذا الرماد
جرف الناس أتىّ مزبد ... ضل فيه المقتدى والمرشد
وطغى اللج عليه والتطم ... فرسا كالصخر فى هذا الخضم
عارض الموج على أغماره ... وطوى اللج على تياره
سبح اللج وبالشط استقر ... داعياً والناس غرقى فى النهر
يجرف التيار جسما جامداً ... تقذف اللجة قلباً خامداً
إن عزم الحر بحر مزبد ... جائش فى الدهر لا يتئد
هذه الأقدار فى تسيارها ... هم الأحرار فى أسفارها[2]
ومَن الشاعر يذكى القافيه ... فهى نور وهى نار حاميه ؟
تشعر الأرض من أوزانه ... ويهيم النجم من ألحانه
وكأن الدهر صوت كُتبا ... قد حكاه الشعر صوتاً مطربا[3]
هو بالأشعار بحر فائض ... وهو للأزمان قلب نابض
حدّثته الأرض عن أخبارها ... وحبته الزهر من أسرارها
هو بالأمس خبير بغدِ ... وهو اليوم نجىُّ الأبد
كشف الله عن الغيب له ... فلسان الغيب يُملى قوله
عرف الشرق وراد المغربا ... فانجلى السرّ له . ما كُذِبا
فرأى العلم سبيلاً للردى ... إذ رأى القلب خلياً من هدى

صوت « إقبال » على شط المزار ... أسمع اليقظان فى هذى الديار

(يتبع)

عبد الوهاب عزام

(١) جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية فى الجزء الثانى من المثنوى
(٢) هذه : مبتدأ ، وهم : خبر (٣) يعنى أن الدهر أمام الشاعر كملامات الموسيقى ، والشعر قراءة هذه الملامات